بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة صلاة الجمعة لفضيلة الشيخ مُحَمَّد الفحام

إطعام الطعام

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله نحمده، ونستعين به ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يَهد الله المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا مُحَمَّداً عبده ورسوله، وصفيه من بين الخلق وخليله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، اللهم صلِّ على الذات المحمدية اللطيفة الأحدية، شمس سماء الأسرار ومظهر الأنوار، ومركز مدار الجلال وقطب فلك الجمال، اللهم بِسِرِّهِ لديك وبسيره إليك آمن خوفنا، وأقل عثرتنا، وكن لنا، وخذ بنا إليك منا، وارزقنا الفناء عنا، ولا تجعلنا مفتونين بأنفسنا محجوبين بحسنا، واكشف لنا عن كل ستر مكتوم يا حي يا قيوم، اللهم صل على سيدنا مُحَمَّد صلاة ترضيه وترضيك وترضى بها عنا يا رب العالمين.

أما بعد عباد الله، أوصيكم ونفسي الخاطئة بتقوى الله، وأحثها وإياكم على طاعته، وأنهى نفسي وأنهاكم عن معصيته، وأستفتح بالذي هو خير، يَقول ربنا الجليل في محكم تبيانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٨-١٠].

أيها الإخوة المؤمنون: في معرض التجوال في رياض حديث أبي هريرة، الذي تضمن توجيه السيد الأعظم عليه الصلاة والسلام، والذي كمن تحت حُروفه مِن الدلالات واللَّفتات، وأقنية العطاءات وبركة رب السماوات، الموحي على سيد السادات، ما لو عمل به عباد الله لوصلت أمورهم إلى مُستوىً مِن الفهم عبر معراج من السمو عن الله تبارك وتعالى، في واقع النَّظَر بالبصيرة لا بالبصر، وواقع الفهم عن خالق

البشر، لأن كل ما نطق به سيد البشر صلى الله وسلم وبارك عليه إنما هو نور وحي، دائرته واسعة ورياضه غُنم، وأزاهيره متنوعة ورحيقه لا ينتهي، وإثماره على عطاء مستمر، وثمراته يانعة، ونَلِجُ بسرعة سريعة اليوم من باب محرابٍ عبر تلك الحروف النبوية الكريمة، هو من أهم المحاريب التي إن راقب الإنسان رَبه عبره هُدِيَ، وكان واقعاً من الفتح ومظهراً من مظاهر الضياء، وسبيلاً من سبل سد الحاجات، ولئن يلقى الإنسان أخاه على ما يُحبه ربه خير له من كثير من النوافل، وفي الحديث النبوي: ((من لقي اخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره الله يوم القيامة)).

أخ الإيمان: ما الذي يسرك في الدنيا؟ مطعم، مشرب، مسكن، مركب، وماذا بعد هذا؟ لا شيء، وما الذي يسرك يوم الله؟ أن تلقاه وهو عندك راض، أكذلك أم لا؟ ربك وعدك أنك إذا لَقِيت أخاك المسلم بما يُحب لِتَنُسَّره –أي لتدخل السرور على قلبه بما تستطيع– قابلك الله عز وجل يوم الله بما أنت أهله، وعبارة الحبيب –صلوا عليه– صلى الله وسلم وبارك عليه، ((وتطعم الطعام)) وفي رواية: ((وإطعام الطعام)) أيها الأخ المؤمن، أرجوك أن تصغي بسمع البصيرة، وأن تُعير هذا الوقت حقه، فكثيراً مَا نَجلس وراء التلفاز أو المواقع، أو ما يسمى بالتواصل –ولا أدري أتواصل أم تقاطع– الساعات الطوال، ولا نُليح باللائمة على أنفسنا بضياع ذلك الوقت، حتى إذا ما استُغرق الوقت في دَرس علم أو خُطبة جمعة أو مجلس ذكر أَقتَرنا على أنفسنا، وهل القضية في سؤال منكر ونكير في القبر على تئقيس أو عمل مَقبول، خبروني بربكم، ألق السَّمعَ أخ الإيمان، نَبيك الأعظم عليه الصلاة والسلام، ترجم حقيقة إيمانه البكر بقضية حُبِّه الخير للغير، قل العطاء أم كثر هي حكمة إلهية، تُريد أن تُطعم ولا تجد إلا القليل فإن كنت صاحب قصد حسن كان قليلك عند الله غزيراً كثيراً تَظهر آثاره بين الناس، واسمحوا لي أن أبقى بمحراب أبي هريرة ﷺ، في حديث في البخاري والسنن، أبو هريرة كان مِن جملة أهل الصفة، ولكن قضى الله عز وجل أن يكون على الأعم والأغلب خادماً لهم إذا قُدم لهم شيء من

طعام أو غيره، وبحكمة الله يُبرز الله عز وجل حقيقة صدق هذا الصحابي الجليل في صورة آثرة مُثمرة أيما إثمار، يقول: كُنت أَربط الحجر أو الحجرين على بَطني من شدة الجوع، وأعتمد على كبدي -أي ليخفف ألم الجوع من نفسه- وكان البلاء على الأمة بصبرها واقعَ الكل، ولكن الله عز وجل أبرك البركة الخير كله عبر المصابرة والاحتساب مع القلة بالإيثار، كيف؟ قال: فاعترضت طريقهم يوماً -وأروي الحديث باختصار شديد كي لا أُطيل عليكم- طريق بعض الصحابة، ينظر إلى وجهه فيستشعر عبر النظر واقع شدة جوعه وتغير هذا الوجه ولونه، فيتعرض أو يعترض طريقهم ليسألهم عن مسألة مَا فيجيبونه، ثم ينصرفوا، لِيُهَيِّئ الله له واقع مُعجزة تَبرز من صاحبها، ألا وهو الحبيب صلوا عليه ﷺ، فمر الحبيب فنظر إليه، قال: فتبسم وعلم ما في وجهي، أي أثر شدة الجوع، أنا أريد أن أسأل سيدي رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليك، ما الذي عندك من زاد أو طعام؟ لا يدري، كان من شأنه عليه الصلاة والسلام بعد أن يَنطلق من صلاة الضحى يسأل أهل بيته: هل عندكم من طعام؟ قالوا: لا، قال: فإني صائم، إذا فيحدث عباده لا صبراً بل رضى عن الله تبارك وتعالى، رأى آثار الجوع على وجه أبي هريرة، قال: أبا هر -بعد أن ابتسم- قال: اِلحَق -أي اتبعني- فانطلق أبو هريرة وراء النبي صلى الله عليه وسلم طامعاً بشيء يُقيم به صُلبه، وله أكثر من ثلاثة أيام لم يَتَبَلَّغ بلقمة، دخل قبله حُجرات زوجاته فسأل، فأذن له بالدخول، فوجد قدحاً من لبن -والكُوب يُسمى قدحاً إذا كان مملوءاً- قَدَحٌ مِن لَبن، فَطَمِعَ أبو هريرة أن يَكون هذا القدح نصيبه، وقد علم إيثار بَعُده عن أيٍّ من هذه المتعلقات، أبا هِرٍّ اِلحق بأهل الصفة، قدح لبن؟ يقول سيدنا أبو هريرة: فساءني ذلك، قلت: وما يَكفي أهل الصفة ويكفيني هذا القدح، وليس مِن بُدّ مِن طاعة الله ورسوله -يعني لا مَحيد- فَانطلق، وكانوا فوق السبعين، قَد يَقول قائل: {هلئ نحنا بدنا نحكي عن إطعام الطعام شو جابنا لقدح لبن} هذا هم الموجود، فلم يَضِنَّ به سيد الوجود طامعاً

ببركة خَالق كل الوجود. نعم أيها الإخوة، اِلحق بأهل الصفة، كان إذا جاءته الهدية نال منها نصيباً يسيراً جداً وأرسل الباقي لأهل الصفة، وإذا جاءته الصدقة أرسلها جميعاً، جاء أهل الصفة وأذن لهم أن يدخلوا، وأخذ كل واحد منهم موضعه، أبا هِرٍّ خُذ فأعطهم، -شَرِّبهُم- وبدأ سيدنا أبي هريرة يُقدم زَاد رسول الله صلى الله عليه وسلم، -أيها الإخوة- نَعَم، نحن نَتكلم عن سيدنا مُحَمَّد ﷺ ولكن بِيَدِ مَن؟ بَينَ يَدَي أُمته التي ذاقت محبته، وقد قال علماء التوحيد: كُلَّمَا كان مُعجزة لِنَبِيٍّ صَحَّ أَن يَكون كَرامةً لِوَلِيٍّ، ومَن الوَلِيّ؟ الذي يتولى أوامر الله ونواهيه، فيتولاه الله، هذا هو الولي. وبدأ يُشرب أهل الصفة، قال: فَيَأخذ أحدهم القدح فيشرب حتى يَروى، -يعني من شدة الجوع ما يترك القدح حتى يَشبع- ثم يُعطي غَيره إلى أن شَرِبَ فَوق السَّبعين والقدح كما هو.

أسالكم يا سادة: ما معنى البركة؟ بَعضهم يقول {البركة يَعني بتحس أنو شي كتير بس متل ما هو لا} هذا إساءة لله عز وجل، نحن نتكلم بما هو أهله، قالوا: الزيادة الحسية والمعنوية، -خلصوا- أبا هِرٍّ هَاتِه، مَن بَقي؟ النَّبِيُّ وأبو هريرة، وانظر إلى ساقي القَوم الحقيقي، كيف يُعلم قضية الإيثار، بأنه آخر القوم شُرباً لأنه سَاقيهم، نعم لأنه ساقيهم، أبا هِرٍّ بَقيت أنا وأنت، سيد الخلائق، ما فوق قدره إلا الله، سَيِّدُ البَشَر، كيف يُعلم، كيف يَكون التعامل، تَجَرَّأ أحد الناس على أحد الأولياء، فقال له يا سيدي: لم وصلنا إلى ما وصلنا إليه، قال: لِجُرأَةِ أمثالكم على أمثالنا. أيها الإخوة: العِزُّ في أن نَستظل بما جاء به الحبيب، وما وجهنا إليه الحبيب، ومنهج آداب الحبيب، عليه الصلاة والسلام.

بَقِيت أنا وأنت، يَلبث أبا هُريرة ثوب الحياء، {أنا بدي أشرب قبل النبي} غَير أن النبي أَصَرَّ، فَوَجَد أبو هريرة أن الامتثال للحبيب عليه الصلاة والسلام أدب وزيادة، فأخذ القَدَح، قال: اِشرب فشرب، وكل ظَنِّهِ أن عَليه أن يُبقي شيئاً للنبي ﷺ، فَشَرِبَ وأبعد الإناء عن فيه، قال: اِشرب، فشرب، ثم أبعده، قال: اِشرب أبا هِرٍّ،

فَشَرِب، حتى قال: لا والذي بعثك بالحق لا أجد له مسلكاً، يَعني شبعت، ثم أخذ القدح عليه الصلاة والسلام، وهنا توقفت المعجزة، إشارة إلى مقام النبي الرفيع، وإشارة إلى مَن أراد أن يَكون على قَدمه، فلا يَحيد عن دائرة أُسوته وقدوته، فحمد الله على ما تَفَضَّلَ به على الأمة وعلى الحاضرين من بركة الزيادة، قال: وشرب الفضلة، -لاحظ- قَد يَقول قائل: {ليش كمان سيدنا النبي لما حَط القدح ما صار معه متل ما صار معهن} أما رسول الله فهو الذي أكرمه الله عز وجل بوسعة العطاء من أنواع كثيرة منها ما خُصَّ به دون سواه، أَبيت عند ربي يُطعمني ويَسقين، وهُنَا هذا الكلام يُوقفنا في محراب قوله جل في علاه، والذي هو ((يطعمني ويسقين)).

أيها الإخوة: يَنبغي أن نُنَبِّهَ إلى نقطة هامة جداً، هو أن على الواحد مِنَّا إذا جَلس أمام مَائدته فوجد الألوان من الطعام أَلا يَستَقِلَّ شيئاً مِنه، في زماننا هذا إن لم يكن عندنا شيء من الطعام عندنا {حواضر، وَعُدَّ} أَضافت السيدة عائشة زاداً مع الخبز، فقال: ما هذا الإسراف؟ إشارة إلى أي معنى؟ أن النبي ﷺ يَنهض بالأمة عَبر حال المقامات العلا، فإنَّا أُمة ينبغي أن لا ننسى أننا لا نعيش من أجل أن نأكل، وإنما نأكل من أجل أن نَعيش، فالمقصود بالإطعام أو الطعام إنما هو التَّقَوِّي على طاعة المولى تبارك وتعالى، وانوِ هذا، وَصَفِّ النية، وكن على مستوى صفاء الطوية بحسن القصد، لِتَتقوَّى جوارحك وتكون نشيطاً فتستغني عن كل دواء حسي بمثل هذا الدواء الراقي.

ختاماً أيضاً لأبي هريرة، قال: انطلقت إلى رسول الله، فجعلتُ أُصرع من شدة الجوع، حتى ظن الصبيان أني جُننت، فقالوا: جُنَّ أبو هريرة. {يدوخ من شدة الجوع} قال: فوصلت إلى رسول الله وعنده أهل الصفة -هذا حديث ابن حبان أورده الحافظ على شرح هذا الحديث حديث البخاري- قال: فوجدت قد أتى رسول الله إناء من ثريد، قصعة من ثريد، اللحم مع الخبز ومرق الخبز وما شابه،

فطمع أبي هريرة أن يَكون له شيء منها، والنبي ﷺ كان يُقَدِّم أهل الصفة لشدة حاجتهم، قال: فأكل الجميع وإني لأتطاول {يعني مِد راسي هيك بركي بيشوفني بيعطيني لقمة} قال: فأكل الجميع ولم يَبق على القصعة إلا على جدارها شيء – يعمني هدول تبع لعق الصحن كما يُقال– قال: فمسحها رسول الله بأصبعه الشريفة، حتى كانت لقمة أو أقل، قال: أَبَا هِرٍّ تَعال، فألقمني إياها، وجعل يَقول: كُلْ فوالذي بعثه بالحق جَعلت آكل حتى شبعت.

هَذه الأمة خَصائصها كثيرة، ولكن اعلموا يا أمة مُحَمَّد ﷺ، أَنَّكُم لن تَنتبهوا إلى بركة هذه الآثار والخصائص إلا إذا عَرفتم رسولكم أكثر فأكثر، فابقوا في محرابه، ولا تخرجوا عن دائرته، واعملوا بسنته، واحرصوا على أن يَبلغه في قبره ما يَسُرُّهُ عنكم، هذه معان لها مجالاتها ومواضيع في خطب قادمة إن شاء الله، أكتفي بهذا القدر وإن كان تحت إطعام الطعام كلام كثير، ولكن كي لا أطيل عليكم، مَن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء عليها، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم.

بتصرف

مديرية أوقاف دمشق